



كلية التربية للعلوم الانسانية
College of Education for Human Sciences

ISSN: 1817-6798 (Print)

Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: www.jtuh.org/

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

Miad Said Hassan Murie

Place of work: Ministry of Education / Tikrit Education Department

* Corresponding author: E-mail : meaad.saeed@tu.edu.iq

Keywords:

pragmatics
linguistics
morning
communication science
style

ARTICLE INFO

Article history:

Received 1 Sept 2024
Received in revised form 25 Nov 2024
Accepted 2 Dec 2024
Final Proofreading 25 May 2025
Available online 26 May 2025

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE

<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>



Pragmatics of the Morning in Al-Buhturi's Poetry

A B S T R A C T

The result of pragmatics in current era is desirable. It arouses the interest of many researchers in various branches and fields of knowledge to make different studies concerning pragmatics because it is a wide field of knowledge dealing with human. Good morning. Here is the translation of the paragraph in an academic tone :Dialogue holds paramount importance in perpetuating language and shared communication between the sender and the receiver. This exchange is concerned with studying the concept of interaction and role-swapping in dialogues that necessitate a unique quality of assistance from linguistic functions. As the poet often resorts to a word that may bear a degree of ambiguity, which is occasionally necessary in the craft of poetry, and which is an ambiguity that weakens the mechanical relationship between words and their meanings as defined in specialized dictionaries. This dialogue strives to create a shared linguistic atmosphere that warns the reader against the poets' reliance on words. The meaning of words, according to al-Buhturi, are souls that move, vacillate, and breathe. He creates the suitable atmosphere, mixing and combining colors, merging and connecting weights, and unifying them. His verse is characterized by rapid flashes that he describes as "sufficient with mere allusion." Following this examination of word and meaning, this study has been conducted aiming to elucidate the concept of morning in al-Buhturi's language, as represented in his diwan, through dialogical study and analysis, and to identify the topics associated with morning and the specific vocabulary used, which has spread extensively and become a distinctive feature of his poetry.

DOI: <http://doi.org/10.25130/jtuh.32.5.1.2025.04>

تداولية الصباح عند البحتري

ميعاد سعيد حسن مرعي / وزارة التربية / قسم تربية تكريت

الخلاصة:

إن عاقبة التداولية في ميعادنا الحالي تُرغب وتثير اعتناء الكثير من الباحثين في مختلف فروع وميادين الإدراك والمعرفة وبجميع تخصصاتها ، لان التداولية جو مفتوح على أغلب الثقافات والمعارف الإنسانية ، فلا شأن للمعاجم والعبارات إذ كانت بعيدة عن محيطها ، فهي بإطارها تشمل النظريات

اللغوية بجميع فروعها الدلالية واللسانية والسميائية والرمزية ، فضلا عن إنها تتجانس وتتداخل مع علوم أخرى مثل : علم الاجتماع وعلم النفس وعلم المعاني وعلوم الاتصال وغيرها ، فمن الملزم أن تتم دراسة المفاهيم والصياغات التي يوجهها الكاتب والمرسل ضمن السياق ، مع مراعاة الظروف المحيطة في النصوص عامة والنص الأدبي ولا سيما في ضوء زمان ومكان التحوار الخاص بدراسة التداولية ..

الكلمات المفتاحية : التداولية / اللسانيات / الصباح / علم الاتصال / الأسلوب .

استبانة في ظهور التداولية :

لم يخلُ مصطلح من المصطلحات الحديثة من إشكاليات وتعدد الآراء نسبة إلى كثرة الدراسات حول النظريات وتحديد الموضوع ، فمصطلح التداولية سبب موجب للاشتباه والإرباك والإبهام ، وعلى الرغم من ضياع الوضوح والاستبانة التي أحاطت بالتداولية ؛ فانها تلتقي مع الأثر العربي وموروثه الغني كثيراً ، لذا نجد إن علماء العرب في الحقب القديمة فطن لفكرة التداولية وعرفها بمفهومها العلمي على الرغم من عدم حضورها باللفظ الصريح لغويًا لكننا نجدها بباب مادة (دَوْل) في المعاجم العربية ، ففي لسان العرب (التداول) لغةً مصدر (تَدَاوَلَ) ، ينكر : دَال، يَدَاوِل ، دَوْلًا : بمعنى تحوّل من حال الى حالٍ آخر ، وأدال الكلام مداولة أي مشاورة وتداولنا الأمر أي أخذناه بالدول ، وتداولت الأيدي الغرض أو الشيء أمسكته هذه مرة وتلك مرة أخرى⁽¹⁾ .

وجاء هذا اللفظ في أساس البلاغة بقوله : ((دال الكلام ، ودالت له الدولة ودالت الأيام ، وأدال الله القوم من عدوهم ، أي جعل الكثرة والتزايد عليهم ... ، وتداولوا الشيء بينهم ، وتداول القوم أي مذاكرة ومحاوره))⁽²⁾ ، وفي معجم القاموس المحيط : ((تداولوا الناس آخر الأنباء ، أي تناقلوها وتشاطروا فيها الرأي ، وانقلاب الزمان من حال لآخر (دول) ، والدولة المأزق والمعائقة في المال ، وتداولوه أمسكوه بالدول))⁽³⁾ .

ومن الشواهد الإيمانية القرآنية التي تعبر عن التداولية لغةً منه قول الله تبارك وتعالى { إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ } (آل عمران : 140) ولعل ما جاء في سلطان القول والدلالة الأخيرة هو الذي علق بأذهان المترجمين والدارسين يشعرون بأسلوب التداولية وصيغتها ، على ركيزة إن هذا النهج من العلم يهتم بتداولية اللغة بين أقرانها ومستعملها ، إذ إن اللغة تنبتق من السياقات اللغوية في مستوى التخاطب الملموس الفَعَالِ إذ وصلت إلينا (التداولية) من ارث ثري ترجم بمباحث مرتبطة بباب الخبر والإنشاء ، والتبصر الى الصلة بين اللفظ والمعنى والعلاقة بينهما في علم اللغة والدرس اللساني عند العرب وسواهم نلاحظهم توسموا في التركيز على قَدَمِ الدلالة في ثنائية اللفظ والمفهوم . الدال والمدلول . مهتمين لثنائية الاقتران بين اللفظ والمعنى مع توسيع محيط الحوار بين أطراف الخطاب الذي يلجأ غالبًا الى

الادراك بالتفسير والتوضيح والإبانة التي تقترن بأساسيات القواعد اللغوية التي في ضوئها تزيل الغموض التي يحيط بالخطابات ، فالكلام يغتم بلاغته وذرايته بتضافر الألفاظ مع المعاني وبتخاذ النحو العربي في درج وتشكيل الكلام حيث إذ إن ((لكل نوع من المعنى نوعين من اللفظ هو به أخص واجدر وهو فيه اجمل واحلى ... وكان الى الفهم أقرب ، إذا كان الشيء مرتبطاً بغيره قدرًا عن سواه كان خيرًا ما يستغاث به على تبصره من الإفهام وتقريبه في النفوس))⁽⁴⁾ ، ويذكر بقوله إن النظم هو أن تحدد قولك بالحد الذي يريده علم النحو من حيث القوانين والأسس ، مع معرفة مناهجه وأنماطه فلا ميل عنها ولا زيغ مثلما يرسم الرسام المخلوقات والموجودات وفق خطوط الطول والعرض ودمجها في صورة فنية منفردة ، كذلك العلاقة بين اللفظ والمعنى عندما يريد الكاتب أو القارئ اللغوي دراسة الكلمات وما يحيط فيها من مستوى صوتي ومعجمي وصرفي ونحوي وبعض القضايا النقدية التي تدور حول المستوى الأول في فهم العلاقة بين اللفظ والمعنى⁽⁵⁾ ، ويرى أن هناك علاقة بين اللغة والاستعمال التداولي في رأي ابن جني ويوثق ذلك بقوله : ((اللغة أكثرها جارٍ على المجاز وقلما يبتعد الشيء منها على الواقع ... وان الذين خوطبوا بها أعلم القوم بسعة مبادئها وانتشار عامتها جرى حديثهم بها مجرى ما يستأنسونه ويعتادونه منها ، وحدقوا أهداف المخاطب لهم بها على حسب وعيهم وفقههم وعاداتهم في اتخاذ استعمالاتها))⁽⁶⁾ ، نلاحظ هنا أن وظيفة اللغة هي التعبير عن وضوح أغراض المتحدثين للمستمعين فاللغة تربط العلاقة بين الدال والمدلول والألفاظ ومستعملها .

ويلمح لنا حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء التوسم الأساسي للنطاق التداولي ، في باب عنوانه (مؤدب دال على درب التعليم والمعرفة بما ينشطر إليه الشعر بموجب اختلافات اوجه الخطاب والتخاطب) يذكر فيه : ((عندما كان الكلام اهم الأشياء بأن يجعل دليلاً على المعاني التي احتاج الناس الى تفاهمها بحسب احتياجاتهم الى معاونة ومدارسة بعضهم بعضاً على تحصيل المنافع وإزاحة المضار والى استفادتهم حقائق الأمور وإفادتها وجب أن يكون المتكلم يبتغي إما افادة المخاطب ، أو لا استفادة منه ، اما بأن يلقي إليه لفظاً يدل المخاطب او على تأدية شيء من المتكلم إليه بالفعل أو تأدية معرفة بجميع أحواله أو بعضها من القول))⁽⁷⁾ ، ولم تكن العناية بالتداولية مثار عناية اللغويين من النقاد والنحاة وعلماء النظريات النقدية والبلاغية فحسب بل اهتمام شديد كل من علماء المذاهب الفلسفية والمنطق والفقهاء والعلميين والاجتماعيين⁽⁸⁾.

التداولية : وهي علم من علوم اللغة ، ومفهوم حديث طغى وتمدد مؤخرًا في الساحات النقدية والأبحاث اللسانية والدرس اللغوي وشغل حيزًا واسعًا في فضائها تبحث عن الصلة بين الدال والمدلول وما بين اللفظ اللغوي الواقعي وهيئة توظيفه الخاصة⁽⁹⁾ ويعرفها بعضهم بأنها ((مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث النواحي والمنطلقات ومتألفة في النظر الى اللغة بوصفها سعيًا يمارس ضمن مقام وشأن متنوع الأبعاد))⁽¹⁰⁾ ، وهذا ما يشدنا بلا شك إلى البحث في جوهر وحقيقة هذا القول الذي تنشئه التداولية وتجعله أجدر أسبقياتها .

وإذا رجعنا الى نشأة ظهور هذا المصطلح فإنه ظهر اتجاهاً فلسفياً مذهبياً في أمريكا على يد الفيلسوف (تشارلز موريس Charles Morris) عام 1938م ، في بحث كتبه في دائرة معارف وموسوعة علمية بين تنوع الوظائف والاختصاصات التي تدرس اللغة ، بثلاثة فروع : الفرع الأول (علم التراكيب Syntactics) الذي يقتصر على دراسة الرموز والإشارات والتعبير والعلاقة بينهما ، أما الفرع الثاني فيدور حول دراسة علم (الدلالة Semantics) وما تدل عليه العلامة من رموز وإشارة وتحديد المدلول الحقيقي .

أما الفرع الأخير فعلم (التداولية Semantics)⁽¹¹⁾ ، وهي في رأي تشارلز موريس دراسة العلامات واقتنائها بمستعملها ، الذي فطن إليه ومكث في ذهنه أخيراً أن التداولية تقتصر على وحدات ضمائر المتحدث والمخاطب وظرفي المكان والزمان ، والصيغ التي تقتبس رموزها من معلومات ومعطيات جزئية خارج محور اللغة نفسها ، أي من المرتبة التي تجري فيها علاقة التواصل⁽¹²⁾ ، فهي برأي صلاح فضل السهم العلمي من مختلف العلوم اللغوية والنحوية التي تهتم بتسوية عمليات الكلام بهيئة خاصة ومهام الخطابات اللغوية طوال إجراءات التواصل على وجه العموم⁽¹³⁾ بمعنى أن كيفية إدراك وفهم المعايير والأنظمة توجهه عند حصيلة الخطاب مع امتهان الجوانب اللغوية في مختلف السياقات بما يضمن لقارئ الفهم عند التأويل وما يسعى إليه وإنجاز غايته .

ويمكن إن نوجز القول بان التداولية هي ((معتقد لساني يدرس ترابط الجهد اللغوي بمستعمله ، ونهج وأسلوب استخدام الإشارات اللغوية بنجاح والأطر والدرجات المقامية المتنوعة التي يستتمّ ضمنها الخطاب ، والدرس حول البحث التي تأخذ من الحوار رسالة تواصل مشرقة وواضحة مع البحث في أسباب الإحباط في التواصل والفشل مع اللغات الطبيعية الأخرى))⁽¹⁴⁾ ، ومن رؤية التداولية لا تكون اللغة مجرد وسيلة للتواصل كما حسبت المدارس الوظيفية أو الإشارات التعبيرية ، وإنما هي أداة تؤثر في العالم⁽¹⁵⁾ ، وقد رسخ القول د.محمود أحمد نحلة ، إن التداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال والتواصل بحيث تكشف مقاصد المرسل في سياق محدد سواء أكان اجتماعياً أو لغوياً أو مادياً وصولاً إلى تمام الكلام ، بمعنى ان ((موضوع التداولية هو نفسه موضوع الدلالة الدائم بإضافة سياق الاستعمال Cohte))⁽¹⁶⁾ ، ومن صفات التداولية⁽¹⁷⁾ :

1. تركز التداولية على تهيئة الاستعمال اللغوي ودرسته ، إذ تبحث عن موضوع لسانيات اللغة وتوظيفها في المعنى اللغوي من حيث الطريقة المركبة للأداء الذي ينجز فيه المعنى .
2. تبحث التداولية عن اللغة من جميع وجوهها الوظيفية العامة سواء أكانت ثقافية أو اجتماعية أو معرفية أو نحوية .

3. لم تمتلك التداولية شفرات تحليلية كامنة بها ، ولا موضوعات متماسكة .
 4. تعد التداولية بؤرة النقاء الكثير من المجالات والعلوم ذات الصلة المترابطة بأوصاف اللغة واللسانيات اللغوية .
 5. تعمل البنيوية على معالجة الملفوظات البنيوية الصرفية وتقديم مفردات الكلمة .
 6. معرفة دوافع مميزات التواصل المغاير وغير الحرفي على التواصل الصريح المباشر .
- ومن هذا المنظور نذكر أن التداولية تعني دراسة المفهوم السياقي ومعناه ، وقد صنف الباحثون التداوليات على ثلاثة أصناف متقاربة هي⁽¹⁸⁾ :

1. التداول اللفظي (اللسانيات) : وهي التداول الذي يعتني ببيان الأصرة الموجودة بين عددٍ من الحقائق الداخلية للملفوظ ، وبعض خصائص الجهاز النطقي الخاص بالمرسل والمتلقي التي يتضمن خلالها الملفوظ .

2. التداول الخطابى (البلاغى) : ويرتبط هذا التداول بجانب من جوانب أفعال الكلام ويختص بدراسة القيم البلاغية التخاطبية الموجودة في متن الملفوظ .

3. التداول الحوارى : للحوار أهمية بالغة في مواصلة اللغة والتواصل المشترك ما بين الباعث والمتلقي ، إذ يهتم هذا التداول بدراسة فكرة التفاعل وتبادل الأدوار في الحوارات التي تقتضي خصوصيتها في إعانة دوال لفظية ، حيث ((يذهب الشاعر إلى اللفظة التي كثيراً ما تحمل شيئاً من الغموض الذي لا بد منه أحياناً في صناعة الشعر وهو غموض إضعاف تلك العلاقة الآلية بين الألفاظ ومداليلها التي وضعت لها في المعاجم الخاصة))⁽¹⁹⁾ ، وهذا الحوار يسعى الى تكوين جو لغوي مشترك يجنح إلى تحذير القارئ من اعتماد الشعراء للألفاظ ، فمضمون المعاني عند البحترى⁽²⁰⁾ أرواح تتحرك وتتذبذب وتتنفس ، فهو ينشئ الجو الملائم ، ويمازج فيه بين الألوان ويدغم ويربط فيها بين الأوزان ويوحد ، ويجلد بريشته الجلادات السريعة التي يقول عنها ((لمح تكفى إشارته))⁽²¹⁾ ، فبعد هذه المعاينة في اللفظ والمعنى جاءت هذه الدراسة تحت عنوان (تداولية الصباح في شعر البحترى) ، هادفة إلى إبانة الصباح⁽²²⁾ في لغة البحترى الخاصة بديوانه من حيث الدراسة والتحليل التداولي ، وتعيين الموضوعات التي اقترنت بالصباح والمفردات الخاصة فيه التي انتشرت بشكل كبير حتى أصبحت علامة دارجة في شعره وهذا ما نجده في قوله⁽²³⁾ :

الشَّعْرُ لَمْحٍ تَكْفَى إِشَارَتُهُ وَلَيْسَ بِالْهَدْرِ طَوَّلْتُ حُطْبُهُ

الشاعر أعرب عن قضية أدبية دار فيها الرأي بين نقاد الأدب القدامى واشتجر النقاش حول قضية اللفظ والمعنى فهو يبصر المشاركة بينهما ويعزم بذلك على روعة المعاني إذ جاء بقوله⁽²⁴⁾ :

حُزْنَ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنَّبِينَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

وَرَكْبَيْنَ اللَّفْظِ الْقَرِيبِ فَأَدْرَكُوا مَنْ بِهِ غَايَةَ الْمُرَادِ الْبَعِيدِ

وهنا قد استطاع الباحثي بمعتقده هذا أن يعلو قمة الأبداع في حسن التعبير وتداولية المعنى بوضوح ورونق ، فأخذت وكأنها كما يقول ابن الأثير : ((نساءً حسانً عليهنَّ غلائل مصبَّعات وقد تحلينَّ بأوصاف الحلي))⁽²⁵⁾ ، فالقصد من هذا القول إن هذا التصوير البديعي يوافق وصف الباحثي وهذه الرقة التي تصاحب تصويره.

وهو بذلك فالبحتري لم يجهل قدر المعنى او ما يفضل عليه اللفظ ، ولكنه يعلم أن جمال المعنى يتطلب منه جمال اللفظ ومقصد التداولية فهو يقول⁽²⁶⁾ :

وَاللَّفْظُ حَلِيٌّ الْمَعْنَى وَلَيْسَ يُرِيدُ كِ الصَّفْرُ حُسْنًا يُرِيكُهُ ذَهَبُهُ

إذ نجد أن اللفظ والمعنى في تداولية المعنى للفظة الصباح عند الشاعر قد تجاوزت الثلاثة والستين بلفظ صريح وأكثر من مئة لفظة دالة على معاني الصباح بلفظ غير مباشر بالفجر والبياض والإشراق والفلق والصبح والغداة وغيرها ... من الألفاظ التي تستمد منها معاني الخير والأخلاق والجمال والشجاعة وأغراض الوصف والمدح والغزل وأغراض أخرى ، ففي النص الشعري كقول الباحثي جاء مادحًا الوزير الفتح بن خاقان⁽²⁷⁾ :

قَدْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَشَقَّ عَنَا الظُّلْمَةَ الصُّبْحُ

وَزَيْرٌ مُلْكٍ وَرَجَا دَوْلَةَ شَيْمَنْتَهُ الْإِنْعَامِ وَالصَّفْحُ

فمن هدف الى تحقيق التواصل بين القائل والمتلقي في نص ما ، ينبغي أن يوسع دائرة الحوار بين أطراف الخطاب لمعرفة خبايا اللغة التي تعيق مفهوم الادراك والوعي ، ولتسهيل تداولية الخطاب من العتبة الإفهامية ، فالشاعر عزم على تضمين وتناسخ الآية القرآنية { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } (الفتح : 1) المباشر لإفهام القول ولإزالة الشك والضبابية التي تحيط بالخطاب ، فقد اتخذ الشاعر لفظة (الصبح) من ذلك للدلالة على الفرقان والعدل والنصر وان ما شق بين الظلام والسواد وهو (الصبح) مادحًا فيه الوزير بشيمه وصفحه والنعم التي عمّ بها الدولة ، فلغة الصباح أوهب نموذج للبدايات والانتصارات المحققة بعد ليل طويل ونهايات يعقبها فرج ونصر وفرص متجددة في كل ممسى ومُصبح وهذا ما جاء عنه قائلًا ومادحًا امير المؤمنين⁽²⁸⁾ :

مَتَى تُوعِدُوهُ الْحَرْبَ يَشْغَبُ فَيَنْقِمُ وَإِنْ تَسْأَلُوهُ الْعَفْوَ يَعْغُفُ وَيَصْفَحُ

فِعْشُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُنْتَعًا

بَنْصُرٍ جَدِيدٍ كُلِّ مُنْمَسَى وَمُضْبِحِ

وقد يأتي الصباح في تداولية الشعر صورةً مستبشرةً عن ذكر وصفات حميدة فيها النور والإشراق والصفاء بالطلل ذاكراً في المدح (29) :

وإِشْرَاقَ عَنِ بَشِيرٍ هُوَ النُّورُ فِي الضَّحَى وَصَافَى بِأَخْلَاقٍ هِيَ الطَّلُّ فِي الصُّبْحِ

وفي صدد المدح وذكر الصفات والأخلاق الحميدة نثمن قدر التضاد ومساهمة الى حد كبير في إثراء تداولية الأسلوب النصي في لفظة (الصباح) إِيحَاءً وَخَطَابًا ، وهذا يعني أنّ ظاهرة التضاد لم تكن حالة عشوائية ودارجة بل كانت ظاهرة فنية تتربع على عرش التجديد والدوائر ذات الأبعاد الشعرية وبؤر العلامة و ((الاقتراض من اللغات الأخر))⁽³⁰⁾ ، فاللغة والخطاب المتداول من أهم الدوافع الأساسية للتضاد ، لأنه ((كلما ازداد العمق ازداد التضاد))⁽³¹⁾ ، ومن أجل الدراسة التداولية للنص فإن ((قطب الرحي في الشعر التناقض))⁽³²⁾ ولهذه الظاهرة حظوة رفيعة في الاقتران ما بين اللفظ والمعنى والعلاقة بينهما التي كانت أساس الدراسات النقدية قديماً وما زالت ، وقد تتابعت المصطلحات في شعر البحتري كتداولية متضادة حول مدار الأحداث ذاكراً الصباح وضده ، فجاء مادحاً⁽³³⁾ :

وَرِثُوا الْكِتَابَةَ وَالْفُرُوسِيَّةَ قَبْلَهَا عَنِ كُلِّ أَبْيَضٍ مِنْهُمْ وَصَّاحِ

كُتَّابُ مُلْكٍ يَسْتَقِيمُ بِرَأْيِهِمْ أَوْدُ الْخِلَافَةِ أَوْ أَسْوَدُ صَبَاحِ

يشغل النص بدلالاته التداولية على تناسف الدلالات المتضادة لفظاً والمتوافقة معنى عبر سهم المقابلة ما بين (الكتابة والفروسية) التي تقدم بأدوار اديولوجية وتداخل لوني ما بين الأسود الصريح والأبيض المتوسم بلغة (الصباح) المباشر ، فلجأ الشاعر إلى هذا الحكم التداولي الإفهامي ليرسم ((صورة لشيء ما بوصفه بما يناقض طبيعته ، فيمزج المتناقضات ليولد في نفوسنا صوت لما يحسه نحو ما يصفه))⁽³⁴⁾ ، فاللغة المتوسمة بالسواد هي دلالة على لون القرطاس والحبر ، أما لغة الصباح فالمراد فيها البياض والنور وإشراق فجر مشهود وتتمين كل ما هو جميل بكشف ودلالة .

وقد يأتي الخطاب تأصيلاً وترسيخاً لسلالة النسب في لفظة الصباح قائلاً⁽³⁵⁾ :

يَا أَحَا " الْحَارِث " إِنِّي خَارِجٌ عِنْدَ الرَّوَّاحِ

سَوْفَ يَقْرِيكَ سَلَامًا مَوْصِلِيَّاتُ الرِّيَّاحِ
بُغْضِي العَسْكَرَ مَنْ بُغْضِ مِسَاءِ ابْنِ صَبَاحِ

في النص الشعري عبارة (صباح ابن مساء) رسالة موجهة إلى الحارث ليأخذ من لفظة (الصباح) أداة لرفع مقام وجاه الذات وشأنها والخفض من مقام الخصم ، بعد ان اعترز بحسبه ونسبه وأوجب بقوله (مساء ابن صباح) ومعنى تداولية ذلك أن أصله راسخ وثابت ومتجذر فالمساء يولد من الصباح .

وقد يأتي الصباح بداية للإرشاد والهداية والتبليغ لله وحده في موسم الحج قائلًا⁽³⁶⁾ :

وَأَهْلُ مَنَى إِذْ جَاوَزُوا الْخَيْفَ مِنْ مَنَى وَهُمْ عَصَبٌ فَوْضَى : مُجَلٌّ وَمُحْرَمٌ
يُهْلُونَ مِنْ حَيْثُ ابْتَدَأَ الصُّبْحُ يَرْتَمَى سَنَاهُ إِلَى حَيْثُ انْتَهَى اللَّيْلُ يُظْلَمُ

وقد يأتي الصباح في تداولية الخطاب الموجه للساعي بالكيد قائلًا⁽³⁷⁾ :

قَدْ قُلْتُ لِلسَّاعِي عَلَيْكَ بِكَيْدِهِ : سَفَهَا لِرَأْيِكَ ! مِنْ أَرَاكَ تُعَانِدُ ؟
أَوْفَى فَأَعْشَاكَ الصَّبَاحُ بِضَوَائِهِ ، وَجَرَى فَعَرَّقَكَ " الْفَرَاثُ " الزَّائِدُ

لفظة أعشاك هنا بمعنى أعماك⁽³⁸⁾ ، إذ نجد أن لفظة الصباح خرجت من الجوانب الإيجابية إلى السلبية في تداولية الحوار وأخذ الشاعر اللفظة التي كثيرًا ما تثيرنا إلى الوضوح والإشراق ووظفها بمدلول مغاير يحمل شيئًا من الغموض وهذا ما نجده أحيانًا في صناعة الشعر ، لإتمام تداولية الحوار وإشارة النص الدلالي .

وللغزل دور كبير في حديث وتداولية شعر البحري إذ إن الشاعر كان محبًا للطبيعة وتأملها فأتخذ من الصباح مصدرًا هامًا في قوله⁽³⁹⁾ :

وَيَرْجِعُ اللَّيْلُ مُبَيِّضًا إِذَا ابْتَسَمَتْ عَنْ أَبْيَضِ خَضَلِ السَّمِيطِ وَضَاحِ
وَتَكْشَفَ اللَّيْلُ مِنْ لَأْءِ غُرَّتِهِ عَنْ بَدْرِ دَاجِيَةٍ أَوْ شَمْسِ إِصْبَاحِ

وهذا النوع من الشعر يشتمل على عددٍ من الوسائط الحسية التي تتصل بالوجه فقد عقد البحري مفردات اللأء والبدر والصباح بجمال الوجه ورسمه تعبيراً عن حسن الثغر فهنا تداولية الخطاب فيها مبالغة

فالشاعر يرى أن ظلمة الليل تكشفها (الأسنان) من شدة بياضها وهي كالبرد في وسط الدجى او كالشمس في وقت الصباح فصورة (شمس الصباح) بليغة جدًا بجمالها واشراقها .

ولازلنا بصدد انجلاء الضباب والظلام بمجيء الصباح والمعنى الحواري هو مجيء وجه الحبيبة قائلاً (40)

:

فَجَاءَ مَجِيءَ الصُّبْحِ يَجْلُو ضَبَابَهُ من البَعِي عن وَجْهِ رَقِيقِ الجَوَانِبِ

وعرض البحترى في شعره لوناً جديداً في غرض الغزل وهو استحضار الطيف وحين يستحضره يسبغ عليه صفة الجمال والدلائل الخطابية البلاغية في تشبيه الجمع (41) ، قائلاً(42) :

بات نديماً لي حتى الصَّبَاحُ أَعْيِدُ مَجْدُولُ مَكَانَ الوُشَاحِ

كأنما يَضْحَكُ عن لَوْلُو مُنْظَمٍ أو بَرَدٍ أو أَقَاحِ

الدراسة الدلالية هنا جاءت عن طريق الإشارات الزمانية(43) المتضمنة في النص الشعري بلفظتي (بات ، والصباح) مستذكراً طيف محبوبته من بداية الليل حتى الصباح هنا محاكاة للذات وقت الصباح فكأنما هذا الطيف والاستذكار في هذا الوقت يتذكر جمال وحضور الحبيبة ، فالبحترى هنا امتلك القدرة الكبيرة في التخيل والمقاربة اللونية في آن واحد ، إذ نجده يكرر جمالية أسنان محبوبته فقد نعتها بدلالة أخرى وهي " اللؤلؤ " التي تحمل صفة الجمال في حكاية الصباح ، وجاء قائلاً(44) :

فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشْبِيهُي بِعِطْفِي غَزَالٍ بَثٌّ وَهَذَا أَعَارِلُهُ

وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِي حَمِيدَةٍ وَلِلصُّبْحِ مِنْ حَطْبٍ تُدَمُّ غَوَائِلُهُ

وأحياناً صورة تبلج الصبح تأتي في المقطوعة الشعرية تشير إلى الفتاة الناعمة الرقيقة ذات البهاء الحسن ، واصفاً وجهها بالبياض كالصباح الذي يهل بطوعه وهدوئه مع مساهمة رمزية الخجل على الصعيدين التشكيلي والتداولي فيحاول الشاعر أن يفتن القارئ بكرم الطبيعة ويصف خجل المحبوبة (بتساقط الورد) ، قائلاً(45) :

يُتَسَاقِطُ الوَرْدُ عَلَيْنَا . وَقَدْ تَبَلَجَ الصُّبْحُ . نَسِيمُ الرِّيَاحِ

وفي تداولية أخرى لحديث الصباح يرى الشاعر أن الطيف فارقه في أول الصبح وقبل انتشاره ، قائلاً

: (46)

وما بَرِحَتْ حتى مَضَى الليل فانقضَى
وأعْجَلها داعي الصَّبَاحِ المُلمَعِ

فالمعنى النصي هنا أن أوائل الصباح وقبل ابيضاض الصبح وانتشاره يكون ممزوجًا بالسواد ملمعًا لأن بياض الصبح لم يظهر كل الظهور إلا مع السواد فأراد الشاعر الاستكثار في وقت الطيف الذي فارقه في أول الوقت من الصباح قبل انتشاره .

وهو يصف جمال الحبيبة وغزلها صباحًا إذ قال (47) :

قُلُوبٌ شَجَبْنَهُنَّ الخُدُودُ الملائِحُ
وساقٍ بدا كالصُّبْحِ والليلُ جانحُ
يُديرُ كُؤُوساً من عَقَارٍ كَأَنَّها
من الثُّورِ في أَيْدِي السَّقَاةِ مَصَابِحُ

ومن ذلك أيضاً قوله يمدح مالك طوق ، ويشبهه عطاءه وأصله بانجلاء الصباح وهو كالماء الذي يلمع من بين الطحالب ، ذاكراً ذلك (48) :

حتى تَجَلَّى الصُّبْحُ في جَنبَاتِهِ
كالْماءِ يَلْمَعُ من وراء الطحلب
يطلبن مجتمع العلام من "مالك"
في ذلك الأَصْلِ الرَّكِّي الأَطْيَبِ

فحوارية النص الشعري في (تجلى الصبح في جنباته ، وكالماء يلمع من وراء الطحلب) قد أسهمت في تجسيد مكانة الممدوح من شأن ووقار ، فقد اشتركا (الصباح ، والماء) في صفة اللمعان والبريق بعد انجلاء من الظلام والمياه الأسنة التي يوجد فيها الطحلب .

وقد تأتي لفظتا (انجلاء وتجلت) مع لفظة (الصباح) كثيراً ، دلالة على الانكشاف والزوال والإشراق وهنا نجد الشاعر يحدد وقت الصباح من الفجر بورده المخضب دلالة على طلوع الشمس في هذا الوقت وظهور الشفق ، كقوله (49) :

حتى إذا ما انجَلَّتْ أخره على أفقٍ
مُضْمَخٍ بالصَّبَاحِ الوَرْدِ مُخْتَضِبِ

وقد يرتبط الشيب من خلال قراءة النصوص وتداولية المعنى أن نرصد في الأعمال الشعرية في شعرية البحري أن دلالة الصباح مرتبطة بموضوع الشيب وقد تسهم اسهامًا واضحًا في ارتباطها بالكبر وقد يمثل حالة الابيضاض والحالة السلبية التي عاشها الشاعر في تبسم تداولية البياض ، قائلاً⁽⁵⁰⁾ :

فالنِّدَا بالرحيلِ حين يُنادى
بخلولِ على الشَّبَابِ مُشَيَّبِ

إِنَّ لَيْلًا تَبَسَّمَ الصُّبْحُ فِيهِ عَنْ زَوَالِ الظَّلَامِ عَنْهُ قَرِيبُ

يستدعى هذا التصوير الانتباه الحاصل في الأذهان وما يدركه العقل من التغيرات التي تحصل للإنسان فوصف الشاعر ظهور الشيب وطلوعه كتبسم الصبح حيث شبه الشاعر الصبح بإنسان يبتسم فنكر المشبه فكانت استعارة مكنية وحذف المشبه به ، إذ جعل الشاعر الصباح يبتسم وأراد به الشيب في تداولية المعنى ، ويذكر قائلًا (51) :

فِي الشَّيْبِ رَجْرُ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ وَوَاعِظٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجْرُ

ابيضٌ ما أسودَّ من قَوْدِيهِ ، وَارْتَجَعَتْ جَلِيَّةُ الصُّبْحِ مَا قَدِ اغْفَلَ السَّحْرُ (52)

وفي هذا النص نجد أن الصبح ارتجع بوضوحه وجليته ما أغفله السحر وتركه من السواد الرقيق اليسير ، فالمرتجع غير المعطى ، ويقول مادحًا الشيب أيضًا بلغة الصباح (53) :

وَيْكُمُ ! بَيَاضُ الصُّبْحِ أَحْسَنُ مَنْظَرًا فِي الْعَيْنِ مِنْ ظَلْمَاءِ لَيْلِ أَلَيْلِ

وَهَلِ اسْوَدَّادُ الْعُلُوِّ يَكْمُلُ حُسْنُهُ فِي الطَّرْفِ إِلَّا بِابْيَاضِ الْأَسْفَلِ

فاللغة الخطابية تكمن بالتضاد هنا عبر الدلالات الظاهرية الطبيعية المباشرة ما بين (الصبح ، والليل) التي تعبر عن مرحلتين الأولى مرحلة الشيخوخة المعبرة عنها بـ (الصبح) وبياضه المقرون بالشيب الذي أتت عن طريق أسلوب تعجبي (ويكم !) بمعنى أن هذه المرحلة مرحلة فهم وإدراك ووعي وحكمة ، مشبهًا بياض الشيب بمنظر الصبح الجميل الذي يشرق فيه النهار وجمالية هدوئه وسكونه وإشراقه ، والنظر إليه في العين أحسن منظرًا من ظلمة الليل وما يحاور الخطاب من رزانة وحكمة ومقارنة ما بين عمر الشباب والمشيب ، وكثيرًا ما نجد الشاعر يجمع بين الشيء وضده ويقابل بين معنيين متخالفين بالطباق والمقابلة (54) ، ونجد ذلك في قوله قوله مادحًا ومقابلًا بين صورة الليل والصبح (55) :

تُرَى اللَّيْلُ يَقْضِي عُقْبَةً مِنْ هَزِيْعِهِ أَوْ الصُّبْحُ يَجْلُو غُرَّةً مِنْ صَدِيْعِهِ

فالبيتان هنا قائمان على تداولية المطابقة ، إذ طابق بين (الليل والصبح) و (يقضي ويجلو) و (عقبة وغرة) و (هزيع وصديع) ، فلوحة المدح رُسمت على وجه المطابقة وما يضيفه الخطاب البلاغي من لغة الإيضاح والبيان عبر حوار المطابقة والتضاد ما بين الليل والفجر ، فالهزيع طائفة من الليل ثلثه أو ربعه ، والغرة : بياض في كل شيء أو أوله وطلعته وهنا استعاره لغةً لبياض الصباح ، أما الصديع : فالفجر ويسمى الصبح صديعًا ويسمى أيضًا فلحًا (56) .

وقد اسبغت لفظة (الصبح) شحنات تداولية متنوعة في شعر البحري والسياق الخطابى للنص في مواطن شتى وفي موضوعات متنوعة فقد ذكر الشاعر الصبح ذات اليقين القاطع وظهور العدل قائلاً في حبس محمد بن علي (57) :

فَتَى الْعَرَبِ الْمَدْعُوُّ فِي السِّلْمِ لِلنَّدَى وَفَارِسِهَا الْمَدْعُوُّ فِي الْحَرْبِ لِلطَّنِّ
فَمَا قَلَّ رَيْبُ الدَّهْرِ مِنْ ذَلِكَ الشُّبَا وَلَا زَعَرَ الْمَكْرُوهُ مِنْ ذَلِكَ الرُّكْنِ
وَلَمَّا بَدَا صُبْحُ الْيَقِينِ ، وَكُشِفَتْ بِهِ ظُلْمَةُ الطَّخِيَاءِ عَنْ شُبْهَةِ الظَّنِّ

وقد تسعى لفظة الصباح ركيضةً أساسيةً من ركائز النسق الشعري ولها احتماليات واسعة في مجال الموضوعات والأغراض الشعرية والأساليب البلاغية وغيرها من الوسائط الأخرى إذ نجد الشاعر في لغته يداعب صديقه قائلاً (58) :

يا " أبا صالح " صَدِيقِ الصَّلَاحِ وشقيقِ الندى ، وتربِ السماحِ !
لا أَظُنُّ الصَّبَاحَ يَوْفَى بِإِشْرَا قِ خَلَالِ فِي سَاحَتِكَ صَبَاحِ

الشاعر هنا تداول بلغة النداء لصديقه مشيرًا إليه بالصلاح ومتعجبًا بأسلوبه ومداعبًا بقوله (لا أظن الصباح يوحى بإشراق) لسوء فعله وسلوكه الذي جعل قوله الخطابى في موضع شك وريب فهو لا يظن أن دلالة الصباح بإشراقها معنى توحى بالخير في ساحته .
ويأتي الصباح في موضع وقوع القتل والسوء قائلاً(59) :

فحاق برأسه ما كان ينوى وحل بأهله سوء الصباح
وقال أيضًا في تحامل الحقد والعداوة(60) :
عَضْبَانَ حُمِلَ إِحْنَةً لَوْ حَمَلَتْ نَبَجَ الصَّبَاحِ لَتَقَلَّتْ مِنْ نَهْضِهِ
وقد يأتي الصباح (61)

لا يَقْتُلِ الحُسَادُ أَنْفُسَهُمْ فَفَقْدُ هَتَاكَ الصَّبَاحِ دُجَى الهَزِيعِ الْمُظْمِ

ارتكزت لغة الشاعر هنا حول اللفظة التي كثيراً ما تحمل صفة الاجترار من الصباح الدال على بيان البياض الايمان وقتل الحسد والظلم التي فيها شيء من الغموض الذي لا بد منه عادةً في وظيفة الأدبيات

العربية شعراً كانت أم نثراً ، الذي يسبب إبهام الصلة الآلية بين التعابير ومداليلها الموضوعية في المعاجم العربية .

وختاماً .. ولا شك أخيراً بإمكانية القول إن التداولية شغلت مساحة كبيرة في الشعر العربي بصورة عامة ، وبخاصة في ظل قصيدة البحري ، إذ تكمن أهميتها في وجوه متعددة ومختلفة عكست وعياً تشكلياً متقدماً وناضجاً للصورة الشعرية كونها تعد أساساً في كل تأليف وبناءً فنياً ومسباراً من التنوع في النصوص ، إذ مزج بين طبيعة الموهوب وتداولية الصنعة في النص فقد كان البحري دقيق البصر بمواضع الوصف والحوار في رفع الدلالة اللغوية ذات الغرض المدحي والوصفي والدلالي ، فالشعر لا يكتسب وحدة بنائية مستقلة في سياق التركيب العام للنص ، أي إن هذه اللوحة من اللغة لا تكتمل خيوطها وتأثيرها من حيث القول إلا إذا كان ورائها ثراءً معنوياً يحقق مواطن الجمال يؤثر في احساس القارئ المتأمل فكأنّ الصباح أيقونة نابضاً بحياة النص بصورة إيجابية وجمالية ممتعة في مخاطبة الاحساس والعقل عند الشاعر .

Notes

- 1- See: Lisan al-Arab: Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Manzur (d. 711 AH), Dar Sader Beirut, d.i., d.t., article (states).
- 2- The basis of rhetoric: Jarallah Abu al-Qasim Mahmoud bin Omar al-Zamakhshari (538 AH), Dar Sader Beirut, d.i., 1385 AH, article (states).
- 3- The surrounding dictionary: Majd al-Din Muhammad ibn Yaqoub al-Fayrouzabadi (d. 817 AH), prepared and presented by Muhammad Abd al-Rahman al-Marashli, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, 3rd edition, 2003 AD, article (countries), and see: Mukhtar al-Sahih: Muhammad bin Abi Bakr bin Abdul Qadir al-Razi (d. 666 AH), Dar Ibn Kathir Damascus, 3rd edition, 1998 AD, (states).
- 4 Evidence of Miracles: Abu Bakr Abdul Qaher Al-Jurjani (471 AH) Tah/ Mahmoud Shaker, Al-Madani Press, the Saudi Foundation in Egypt, d.i., 1992 AD, 574.
- 5 See: ibid.: 366-367.
- 6 Characteristics: Abu al-Fath 'Uthman al-Mawsili known as Ibn Jinni (d. 392 AH), Tah Muhammad Ali al-Najjar, Dar al-Kutub al-Masriya, Cairo, d.t., 1953, 3/250.
- 7- Minhaj al-Balagha and Siraj al-Adbaa: Hazem al-Qartajni (d. 684 AH), Tah Muhammad Habib al-Khoja, Dar al-Kutub al-Sharqiya, Tunisia, d.i., 1966, 313.
- 8 See: Pragmatics among Arab Scholars: Dr. Masoud Sahraoui, Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing, Beirut, 1st Edition, 2005, 16.
- 9 See: The Pragmatic Approach: Françoise Armenko, tr. Said Alloush, Rabat Development Center, 1986, 8, and see: Arm Linking in the Arabic Text: Faleh bin Shabib Al-Ajmi, Yarmouk Researches, Literature, Linguistics and Linguistics Series, vol. 1, 1994, 254.
- 10 Quranic discourse: a study in the deliberative dimension: d. Muayad Al-Suwayt, Library of Civilizations Beirut, 1st edition, 1431 AH, 2010 AD, 22.
- 11 See: Language, Meaning and Context: Jeffrey Leach Thomas, T. Koling, tr/ Mohieddin Hamidi and Abdullah Al-Humaidan, Riyadh, King Saud University, 2000, 172.
- 12 See: Deliberative Today A New Science in Communication: Anne-RoPaul Jacques Mouchelaard, 19.
- 13 See: The rhetoric of discourse and the science of text: Dr. Salah Fadl, Egyptian International Publishing Company Longman Beirut, 1996, 23.
- 14 Pragmatics among scholars: 5.
- 15 See: Pragmatic Analysis: Hajar Mudqan, Horizon Magazine, Egypt, 2009, 88.
- 16 Discourse Strategies: Pragmatic Linguistic Comparison: Abdul Hadi Zafer Al-Shehri, Dar Al-Kitab Al-Jadeed, Beirut, 2004, 24.
- 17 See: Pragmatics The Science of Language Use: Dr. Hafez Ismail Alawi, The World of Modern Books Irbid, 1st Edition, 2011, 29, and see: New Horizons in Contemporary Linguistic Research: Mahmoud Ahmed Nahle, Dar Al-Maarifa University Cairo, 2006, 15.

مصادر المجلة :

18 See: The Pragmatic Approach: 7, and See: The Pragmatics of the Poetic Text (The Arab Poetry Crowd as a Model): Shiter Rahima, PhD thesis, University of Bata, Algeria, 2009, 50.

19 Al-Mutanabbi and the aesthetic experience of the Arab (poets received his poetry): Hussein Al-Wad, Dar Al-Gharb Al-Islami, 2nd Edition, 2004, 141.